East African Scholars Multidisciplinary Bulletin
Abbreviated Key Title: East African Scholars Multidiscip Bull
ISSN 2617-4413 (Print) | ISSN 2617-717X (Online) |
Published By East African Scholars Publisher, Kenya

OPEN ACCESS

DOI: 10.36349/easmb.2019.v02i12.002 Volume-2 | Issue-12 | Dec-2019 |

Review Article

هوسا بلاد في المالكي المذهب دخول

سعد مصطفى معاوية

صدوق فودي، بن عثمان جامعة الإسلامية الدراسات مركز

*Corresponding Author

معاوية مصطفى سعد

Abstract.

"دخول المذهب المالكي في بلاد هوسا" تهدف المقالة إلى بيان الطرق والوسائل التي نفذ من خلالها المذهب المالكي وتنقل عبرها حتى استقر في بلاد هوسا. وأهمية ذلك أن يعرف القارئ المجهودات التي بذلها المتقدمون في نقل المذهب المالكي من البلاد البعيدة من المدينة المنورة إلى بلاد هوسا في غرب إفريقيا، تحدثت المقالة عن تلاميذ الإمام مالك الذين نقلوا المذهب المالكى إلى شمال إفريقيا، وتحدثت أيضا عن التجار الذي نقلوا المذهب من شمال إفريقيا إلى السودان الغربي، وتحدثت أيضا عن الوسائل التي تنقل عبرها المذهب المالكي من السودان الغربي إلى بلاد هوسا، وختمت باختصار ما سبق تفصيله.

دخول المذهب, المالكي , بلاد هوسا, غرب افريقيا, شمال افريقيا والسودان الغربي.

Keywords:.

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم واهتدى بهديهم.

وبعد: كان القرن الثاني الهجري مسرحا لفتتاح المدارس الفقهية الإجتهادية في الأمصار الإسلامية. ترأسها جهابذة من العلماء المتقنين فكان بمكة سفيان بن عيينة وبالمدينة مالك بن أنس و بالبصرة الحسن البصري وبالكوفة أبو حنيفة وسفيان الثوري و بالشام الأوزاعي وبمصر الشافعي والليث بن سعد وببغداد داوود الظاهري وابن جرير الطبري وأبو ثور وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه بنيسابورا[1].

والمدرسة المدنية التي حمل لواءها في زمنه الإمام مالك بن أنس من أظهر تلك المدارس وأكثرها انتشارا وأوسعها تعميما للقارات.

وقد تسرب الفقه المالكي من المدينة إلى بلاد هوسا عبر محطات وهي من المدينة إلى شمال إفريقيا ومنها إلى السودان الغربي، ومنها إلى بلاد هوسا، وسيتم الحديث عن المذهب المالكي في بلاد هوسا في ثلاث مباحث.

- المبحث الأول: دخول الفقه المالكي إلى شمال إفريقيا
- المبحث الثاني: دخول الفقه المالكي إلى غرب السودان
- المبحث الثالث: دخول المذهب المالكي إلى بلاد هوسا

المبحث الأول:

دخول الفقه المالكي إلى شمال إفريقيا:

شمال إفريقيا مصطلح حديث يطلق على التشكيلة من مجموعة دول البحر المتوسط الواقعة في المناطق أكثر شمالا من القارة الإفريقيا وهي بلدان المغرب والجزائر وتونس وليبيا.[2] وعرفت في اصطلاح المؤرخين القدامى بالإفريقية وبالمغرب، فقد سماها المؤرخ الشامى يقوت الحموي بالإفريقية، وسماها المقدس بالمغرب في تاريخه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".[3]

العلماء الذين نقلوا المذهب المالكي إلى شمال إفريقيا:

[1] الرحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ص 29.
[2] شمال إفريقيا، ويكيفيديا، الموسوعة، تاريخ الزيارة: 2019/5/10.
[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 228/1
والمقدسي، محمد بن أحمد، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، تحقيق غازي طليمات، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القوم، 1980. ص 202.

Quick Response Code

Journal homepage:
http://www.easpublisher.com/easmb/

Article History
Received: 29.11.2019
Accepted: 08.12.2019
Published: 19.12.2019

Copyright @ 2019: This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution license which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium for non commercial use (NonCommercial, or CC-BY-NC) provided the original author and source are credited.

وقد شق المذهب المالكي طريقه إلى شمال إفريقيا عن طريق تلاميذ الإمام مالك الأفارقة الذين وفدوا إليه في المدينة المنورة وتتلمذوا عليه حتى تخرجوا من مدرسته وهم عدد كبير والذين اشتهروا بنقل مذهبه إلى شمال إفريقيا هم:

علي بن زياد التونسي
الذي كتب عن الإمام مالك فتاويه وألف منها كتابا سماه "كتاب خير من زنته، وهو أول من أدخل كتاب الموطأ للإمام مالك إلى إفريقيا.[4]

وعبد الله بن غانم القاضي،
هو عبد الله ابن عمر ابن غانم ابن شراحيل أبو عبد الرحمان تتلمذ على ابن زياد في بلده قبل سفره إلى مالك بالمدينة، وسمع في المدينة من الإمام مالك ولازمه كما سمع من علماء آخرين مثل سفيان الثوري وحجاج ابن المنهال، كان ابن غانم من أقدم تلاميذ الإمام مالك الإفريقيين سمع منه تلاميذ مالك الذين جاءوا بعده مثل: القعنبي وابن القاسم وسحنون وأبو يوسف ابن الضحاك وغيرهم.[5]

وعبد الله بن فروخ الفارسي،
أبو محمد فقيه القيروان في وقته مولده بالأندلس سنة 115هـ، ثم انتقل إلى إفريقيا فسكن القيروان واستوطنها، رحل في طلب العلم ولقي جماعة من كبار الأئمة وأخذ عنهم كزكريا ابن أبى زائدة وعبد الملك بن جريج والأعمش وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بن أنس وبصحبته اشتهر وبه تفقه، ثم انصرف إلى إفريقيا فأقام بالقيروان يعلم الناس العلم ويحدثهم وينشر الفقه المالكي ورغم انفصاله عن مدرسة الإمام مالك في المدينة إلا أنه ما زال يتواصل به ويكاتبه في مسائل فقهية فيجاوبه مالك.[6]

البهلول بن راشد القيرواني،
أبو عمر كان ثقة مأمونا أحد أوتاد المغرب في العلم، مولده سنة 128 وتوفي سنة 183. أخذ العلم في بلده القيروان على علي بن زياد التونسي وغيره، ثم رحل إلى المشرق فسمع من الأئمة كالثوري والليث بن سعد وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وسمع مالكا ولزمه وتفقه به وروى عنه سحنون ويحي بن سلام وجماعة.[7]

وأسد بن الفرات،
أبو عبد الله أصله من نيسابورا قدم به أبوه تونس مع محمد بن الأشعث، ولد أسد سنة 145 ومات محاصرا بسرقوسة في غزوة صقلية وهوأمير الجيش وقاضيه سنة 213، تفقه بأبي الحسن علي بن زياد في تونس ثم رحل إلى الحجاز فسمع من مالك ثم انتقل إلى العراق فسمع من هشيم ويحي بن أبي زائدة وأبي بكر بن عياش ومحمد صاحب أبى حنيفة ثم رجع إلى مالك في المدينة فوافاه قد توفى فقال إن فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه فذهب إلى أصحاب مالك في مصر فسمع من أشهب وعبد الرحمن بن مهدى وابن القاسم ولزمه وسأله المسائل فأجابه ابن القاسم وخصه بمزيد من العناية والاستجابة حتى إنه كان لابن القاسم ختمتان للقرآن كل ليلة فتنازل له عن ختمة. وعندما أراد أسد الرجوع إلى إفريقيا دفع له ابن القاسم سماعه من مالك وقال له ربما أجبتك وأنا على شغل ولكن انظر في هذا الكتاب فما خالفه فيما أجبتك فيه فأسقطه فأتى بها الأسد إلى القيروان فكتبها الناس، وسمع منه بإفريقيا علماءها ووجوهها سحنون بن سعيد وعمر بن وهب وسليمان بن عمران وابن المنهال كما سمع منه الكوفيون كتب أبى حنيفة.[8]

وسحنون بن سعيد القيرواني،
وهو عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي أصله من حمص ولد سنة 160 وتوفي سنة 240 بالقيروان. أخذ فقه مالك من كبار تلاميذه الافريقيين والمصريين والمدنيين وكان أعلم بقول مالك وأصحابه واختلافاتهم وألف كتابا جامعا لمذهب مالك وسماه المدونة وكانت في الأصل مدونة أسد استنسخها سحنون وارتحل بها إلى ابن القاسم وكان أسد لم يقم بما أمره به ابن القاسم من عرض مدونته على كتبه التي دفعها إليه لتصحيح بعض الأجوبة الخاطئة. فعرضها سحنون على ابن القاسم وكان فيها أشياء لم تطمئن بها نفسه فأجابه ابن القاسم عما كان يشك فيها وصحح فيها على أسد أشياء كثيرة فرجع بها سحنون إلى القيروان مصححة مهذبة وأضاف إليها اختلافات فقهاء المالكية وقبلها الناس وتركوا مدونة أسد.[9]

المبحث الثاني: دخول الفقه المالكي إلى غرب السودان
ويراد بالغرب السودان مجموعة البلدان الواقعة في أقصى غرب السودان وهي: غَانَا وغِينِيَا ومَالِي ويطلق عليها الغرب الإفريقي.[10]

وبعد استقرار المذهب المالكيى في شمال إفريقيا بدأ يتسرب منها إلى غرب إفريقيا، وقد كان لدخول الفقه المالكي وانتشاره في غرب إفريقيا منفذان.

المنفذ الأول:
دور التجار من سكان شمال إفريقيا الذين يتجهون بتجارتهم إلى غرب إفريقيا ووسطها في أسواق، في تُمْبُكْتُو وجِنِّي وغَاوُو وكَنُو وكَتْسِنَا وبَرْنُو، وكانوا يحضرون بضائعهم التجارية التي يحتاج الناس إليها في بلاد السودان مثل الحرير والسرج والسيوف والنحاس والملح والمنسوجات، ويشترون منتلك الأسواق ما يحتاجون إليه من السلع التي تصدر من غرب إفريقيا كالذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك. ولكثرة تردد التجار من شمالإفريقيا إلى غربها واختلاطهم بسكانها وتألفهم معهم سهل عليهم تقديمديانتهم الإسلامية وتعاليمها إلى زبائنهم وخلطائهم، وقد نجحو في ترويج دعوتهم الإسلامية حيث استجاب لها معظم الناس في غرب إفريقيا ووسطها واعتنقوا الإسلام وتعلموا منهم علومه الضرورية ومنها الفقه المالكي.[11]
والمنفذ الثاني:
هو الدور الذي قام به العلماء في نشر الفقه المالكي في مدينة تمبكتو، سواء الوافدين منهم والمقيمين، فقد وفد إليها وزارها عدد من العلماء من مناطق مختلفة من أمثال:

[4] ترتيب المدارك 114/1
[5] ترتيب المدارك، ص: 113/1
[6] المصدر السابق 119/1-120
[7] شجرة النور الزكية، ص 60
[8] مقدمة ابن خلدون، ص 357.
[9] المصدر السابق
[10] I.D. Fage, *A History of West Africa*, an introductory survey, 4th edition, London: Cambridge University Press, 1969. P 1.
[11] غلادث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص، 18-19

الشيخ عبد الكريم المغيلي الجزائري التلمساني المتوفى سنة 909هـ.[12]
والشيخ العاقب بن عبد الله المسوفى، الفقيه له تعاليق على المختصر، وله الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمود، أخذ عن المغيلي والجلال السيوطي، توفي في حدود 950.[13]

كما ساهما أيضا علماء مواطنون أمثال:
محمد بن محمود ابن أبي بكر الونكري قاضي التمبكتو، الفقيه المالكي له تعاليق وحواشي على مختصر الخليل، توفي سنة 1002هـ.[14]

والشيخ أحمد باب ابن أحمد ابن عمر أقيت، الصنهاجي المحدث المؤرخ، له تآليف منها: شرح على المختصر من الزكاة إلى النكاح، وحواشيعلى مواضع من المختصر، توفي سنة 1032هـ.[15]

المبحث الثالث:
دخول المذهب المالكي إلى بلاد هوسا
تطلق كلمة هَوْسَا على الشعوب والقبائل الساكنة بين مملكة بُرْنُو شرقا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نَيْجَا غربا ومن حدود مملكة آهير شمالا إلى حدود نهر بِيْنُوي جنوبا، وتطلق أيضا على اللغة التي يتحدث بها هذه الشعوب والقبائل.[16]

والحديث عن دخول المذهب المالكي إلى بلاد هوسا يبحث في الحديث عن عوامل انتشار الإسلام في بلاد هوسا.

عوامل انتشار المذهب المالكي في بلاد هوسا:
هناك أمور سهلت انتشار الإسلام والمذهب المالكي في بلاد هوسا ومن أهمها:

التجارة:
سبق الحديث عن وجود علاقة تجارة بين بلاد هوسا وبين شمال إفريقيا وأن هذه التجارة لم تكن تجارة بضائع وسلع فحسب، بل كانت تجارة ترويج للإسلام أيضا حيث اعتنق بعض سكان بلاد هوسا الإسلام على أيدي تجار شمال إفريقيا، ولم يكن تجار شمال إفريقيا وحدهم من انفرد بتقديم الإسلام إلى بلاد هوسا، فهناك أيضا تجار من غرب إفريقيا وبالتحديد من تمبكتو أسهموا بقوة في توريد الإسلام والفقه المالكي في مناطق بلاد هوسا.

وتميز تجار غرب إفريقيا بأنهم اتخذوا بلاد هوسا بلدا ثانيا لهم، فلربما أقاموا فيها طويلا وأسسوا فيها مدارس لتعليم أبنائهم القرآن الكريم والفقه المالكي، وكانوا منبسطين على سكان بلاد هوسا وعلماء متدينين، أضف إلى ذلك أن التجار القادمين من غرب إفريقيا وبالتحديد من تُمْبُكْتُو كانوا مهتمين بنشر العلم الشرعي أكثر من إهتمامهم بالتجارة التي هي جسرهم إلى بلاد هوسا حتى إنه لتذكر بعض المصادر أن الذي تزعم قوافل التجار من مَالِي إلى بلاد هَوْسَا كان عالما فقيها وهو الشيخ عبد الرحمن زيتى، وقد جعل سكان المنطقة يقبلون عليهم ويدخلون في دين الإسلام ويأخذون تعاليمه منهم.[17]

الهجرة الجماعية لقبائل الْفُولاَنِ والْوَنْغَارَا.
يتكون شعب مَالِي من الفلانيين والماندنغو (الونغارا)، وبعد وفاة ملكها الرابع منسى سليمان بدأ الضعف يدب في جسدها، ففي عام 1355م فرضت صُنْغَاي استقلالها عن مَالِي وتقاسم أراضيها قبائل الطوارق وقبائل الْوُلُوفْ وَالْمُوسَى فاستولى الطوارق على الأراضي المجاورة لها كَأْوَرَاكْ وَوُلاَةَ وَتُمْبُكْتُو واستولى قبائل الولوف على المنطقة الغربية كما استولى قبائل الموسى على المنطقة الجنوبية. فهذه الحوادث والاضطرابات دفعت قبائل الونغار والفلانيين للهجرة إلى الشرق والتشتت في الأرض طلبا للأماكن التي هى أكثر أمنا، فنزل بعضهم في أماكن متفرقة من بلاد هوسا، وكان من بينهم علماء وتجار وكانوا يحملون معهم كميات كبيرة من أمهات الكتب والمخطوطات، وكانوا إذا أقاموا ببلد أو استوطنوه أقاموا مدارس لتعليم أبناءهم تلاوة القرآن الكريم ومبادئي العلوم الفقهية، وقد أدى احتكاكهم بالمواطنين إلى تسرب ثقافتهم إليهم فكان هذا عاملا أساسيا في نشر الفقه المالكي في ربوع هذه البلاد.[18]

العلماء:
شهدت منطقة بلاد هوسا في نهاية القرن الخامس عشر قدوم أجلة من العلماء من المغرب العربي ومن السودان الغربي الذين كرسوا المذهب المالكي فيها، فقد زار المنطقة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني واتصل بملكوها وتصدر للتدريس والقضاء في مدينة كَنُو في عهد ملكها محمد رنفا، وزار المنطقة أيضا الشيخ أحمد بابا بن عمر أقيت التمبكتي، والشيخ محمد بن أحمد التزاختى الذي قام بتدريس المختصر في الفقه المالكي في مدينة كَسِنا وشغل منصب القاضي بها.[19] وكذلك ساعد على انتشار الفقه المالكي ما قام به أيضا علماء مواطنون أمثال:

الشيخ محمد بن أحمد الفلاني الكسناوي والشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلاني الذي تنقل في الممالك المجاورة لنيجيريا واستقر في برنو وأصبح موضع إجلال هناك، وكان صريحا في نصحه للسلاطين.[20]

---

[12] شجرة النور الزكية، ص 274
[13] المصدر السابق، ص 278
[14] المصدر السابق، ص 287
[15] المصدر السابق، ص 298
[16] غلادنث، شيخو أحمد سعد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، القاهرة: دار المعارف ص 40.
[17] ميشانو، عيسى محمد، 2013م، دخول الإسلام في نيجيريا حتى القرن التاسع عشر الميلادي، فعاليات المؤتمر العالمي الإسلامي بعنوان: الإسلام والتعايش السلمى في نيجيريا، المنعقد بين 28-30 مارس 2013م، صكتو: مطبعة أمل ص 7.
وبنزا، مختار عمر، 2013م، تطوير المؤسسات الإسلامية وتحدياتها في نيجيريا، فعاليات المؤتمر العالمي الإسلامي بعنوان: الإسلام والتعايش السلمى في نيجيريا، المنعقد بين 28-30 مارس 2013م، ص 18.
[18] والثقافة العربية، ص 68-69
[19] المصدر السابق، ص 75
[20] حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص 57

ما قام به هؤلاء العلماء من الدعوة والإصلاح والتجوال في البلدان للتوعية والإرشاد والتدريس وتأليف الكتب، وكل ذلك على المذهب المالكي جعل أجزاءا من بلاد هوسا مراكز علمية وعلى المذهب المالكي مثل زَارِيَا وكَانُو وكَشِنَا ويَنْدُوتَو وطَغِيلْ.

الحكام:

أبدى الحكام في بلاد هوسا اهتماما وعناية كبيرين في إرساء الثقافة الإسلامية في بلادهم فقد كانوا في الصدارة في اعتناق الإسلام وتبعهم الرعية وقام بعضهم بجلب العلماء من مناطق أخرى إلى بلدانهم بهدف الاستفادة منهم ونشر العلوم الإسلامية فأعظموا مكانتهم وانفتحوا عليهم وأشركوهم في إدارة الدولة بتعينهم قضاة ومستشارين وقاموا ببناء المدارس وتيسير الإمكانات المطلوبة في مجال العلم والتدريس، وكان على رأس هؤلاء الحكام في هذه المهمة محمد رنفا ملك دولة كَنُو ومحمد كُورَوْ ملك دولة كَسِينَا ومَكَامَا رَبُو ملك دولة زَزَّوْ، وكذالك سلاطين دول غرب إفريقيا أمثال سلطان دولة مالي الملك منسا موسى الذي حكم في فترة 1312-1337م، وأخوه من بعده الملك سليمان، وسلطان دولة صونغاى الملك أسكيا محمد.[21]

الخاتمة:

مما سبق يتضح أن المذهب المالكي الذي تأسست مدرسته بالمدينة المنورة في مطلع القرن الثاني الهجري وجد طريقه إلى شمال إفريقيا بفضل جهود

الأفارقة الذين ذهبوا إلى المدينة وجلبوه إلى أوطانهم في شمال إفريقيا ومن هناك واصل المذهب سيره إلى غرب إفريقية ووسطها حيث كانت بلاد هوسا لكن في هذه المرة كان الفضل يعود إلى جهودات متراكمة من جهات متعددة، فقد أدلى بدلوه كل من التجار والدعاة والحكام والعلماء، فدور التجار تمثل في نقل التجار الفقه المالكي من شمال إفريقيا إلى المدن التي يمارسون فيها تجارتهم في غرب إقريقيا ووسطها مثل غانة القديمة وتمبكتو وجني وغاوو وكنو وكثنا، وبمثل هذه الطريقة تصرفت التجار في غرب إفريقيا في نقل فقه المالكي إلى بلا هوسا، وأما دور الحكام فقد قام الحكام في دولة المرابطين بإرسال الدعاة لدعوة الناس إلى دين الله ونشر تعاليمه في البلاد الواقعة تحت حكمهم، وقام حكام دول مالي وكنو وكثنا بنشر الإسلام في دولهم عبر دعم العلماء في القيام بمهامهم الدعوية والتدريس وتأليف الكتب، وهكذا دخل الفقه المالكي إلى بلاد هوسا عبر الوسائل السلمية وانتشر فيها انتشارا واسعا.

المراجع:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993.
2. بنزا، مختار عمر، 2013م، تطوير المؤسسات الإسلامية وتحدياتها في نيجيريا، فعاليات المؤتمر العالمي الإسلامي بعنوان: الإسلام والتعايش السلمى في نيجيريا، المنعقد بين 28-30 مارس 2013م،
3. الرحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ط3، دمشق: دار الفكر، 1989م
4. شمال إفريقيا، ويكيفيديا، الموسوعة، تاريخ الزيارة: 2019/5/10.
5. غلادنث، شيخو أحمد سعد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، القاهرة: دار المعارف.
6. القاضي، عياض بن موسى، ترتيب المدارك، المكتبة الشاملة.
7. مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، دار الفكر، (بلا مكان ولا تاريخ)
8. المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القوم، 1980.
9. ميشانو، عيسى محمد، 2013م، دخول الإسلام في نيجيريا حتى القرن التاسع عشر الميلادي، فعاليات المؤتمر العالمي الإسلامي بعنوان: الإسلام والتعايش السلمى في نيجيريا، المنعقد بين 28-30 مارس 2013م، صكتو: مطبعة أمل
10. ياقوت الحموي، معجم البلدان.
11. I.D. Fage, *A History of West Africa*, an introductory survey, 4th edition, London: Cambridge Univeristy Press, 1969.

[21] المصدر السابق، ص 47، 49
والثقافة العربية، ص 73